

الأمثال في القرآن الكريم

(96) لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . (1) ومع رواية هذه المعجزة الكبرى التي كان من المفروض أن تزيد في إيمانهم وانصياعهم لنبيهم موسى (عليه السلام)، لكن - و للأسف - قست قلوبهم بنحو يحكي سبحانه شدة تلك القساوة و يقول: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً). وبما أن الحجر هو المعروف بالصلابة والقساوة شدّه سبحانه قلوبهم بالحجارة وقال: إِنَّ قُلُوبَهُمْ (كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) أي: بل أشدّ قسوة، فكلمة "أو" موضوعة مكان بل. ثمَّ إِنَّ القلوب إمّا بمعنى النفوس الناطقة، فعندئذ تكون نسبة القساوة إلى الروح نسبة حقيقية. أو انّ المراد منها هو العضو المودع في الجهة اليسرى من الصدر الذي ليس له دور سوى تصفية الدم وإرساله إلى سائر الأعضاء، وعندئذٍ تكون النسبة مجازية، وإنّما نسبت القساوة إلى ذلك العضو ، لأنّه مظهر من مظاهر الحياة الانسانية، وأوّل عضو يتأثر بالأمور النفسانية كالفرح والغضب والحزن والجزع، فلامنافاة في أن يكون المدرك هو النفس الناطقة، ومع ذلك يصحّ نسبة الإدراك إلى القلب. ثمَّ إنّّه سبحانه وصف قلوبهم بأنّها أشدّ قسوة من الحجارة، وعلّل ذلك بأُمور ثلاثة: الأولى: (وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمَّا يَخْرُجُ مِنْهُ الْإِنِّهَارُ). الثاني: (وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ).
_____ 1 - البقرة:73.